قتال من نوع آخر

قبل أيام تواعدت مع أحد الأصدقاء، وذهبت إلى منزله، وكنت أنتظر في سيارتي، وفجأة وقفت أمامي سيارة، ونزل منها شابان، وحملا عجوزًا بطريقة رائعة جدًّا، وكأنها محمولة على كرسي، فنظرت إليها، وقلت: سبحان من سخر لك هذين، وكأنها ملكة من ملكات ذلك الزمان الذي كانت تحمل كراسيهن على رقاب العبيد!

خرج صاحبي، وحكيت له ما رأيت، فقال: هذان جاران لي، وسأحكي لك قصتنا معهما، يقول:

في يوم من الأيام، بعد أن فرغنا من صلاة العصر، خرجت من المسجد مبكرًا؛ لانتظار زوار من مدينتنا، ووقفت عند باب منزلي أحادثهم، وأصف لهم البيت، وأنا منشغل، وإذا بسيارة هذين الشابين تقف أمامي، ولم يكن لهما إلا بضعة أشهر آنذاك، أشحت بوجهي عنهما إلى الجهة الأخرى، وأنا منشغل بالهاتف، تحدثت ما شاء لي الله، وحين هممت بالدخول إلى المنزل، فإذا بأحدهما يمسك بتلابيب أخيه، ويجذبه عن الباب الذي ستخرج منه والدتهما.

وما كان من الأخ الآخر إلا أن فعل الفعل نفسه، وبدأ العراك، وكلٌّ يصرخ في الآخر، ويتدافعان بطريقة جعلتني وبعض الجيران نتدخل فورًا.

والله الـذي لا إلـه غيره مـا عهدنا عليهمـا إلا كل خير، أسرعنا إليهما، ونحن في دهشة مما يحصل، التفت الصغير إلينـا، وهـو ممسـك بتلابيب أخيـه، قائلًا لنا: مـن أراد أن يتدخل، فليحفظ حقي.

تقدمنـا، وأبعدنا أحدهما عن الآخـر، وقلت لهما: اتقيا الله، تتشاجران أمام والدتكما على مرأى منها ومسمع! ماذا حل بكما؟ وما المشكلة؟

فـردّ الصغير قائـلًا: أردت أن أحمل والدتـي، وأدخلها إلـى المنزل بحسب الاتفـاق بيني وبينه، فهو مـن حملها من سريرها في المستشفى، وأنزلها في السيارة، ومن حقي أنا أن أحملها، وأدخلها المنزل.

فقـال الكبير بصوت عـالٍ: ستة أشهـر، وأنت تخدمها، وأنـا في الدورة، وتواعدني كثيرًا بأن تأتي بها إليّ، ولكنك لم تفعل، أنت خدمتها أكثر مني.

يقول صديقـي: فتحنا أفواهنـا، والدهشة تكاد تعصف بعقلـي وعقلـه، وكل واحـد منهما مستعد أن يمـوت في سبيل حمل أمه.

لم أستطـع أن أحبس دموعي، ولكننا حاولنا بطرق شتى أن نحلّ الموضوع، ولكن الصغير كان متمسكًا بحقه.

يعلـم الله أننا وقفنا أكـثر من ساعة، ونحـن نحاول أن نحكـم بينهما في هـذا الأمر، وكلمـا نظرت إلـى عيني أحد الجيران وجدتهما غارقتين في الدموع من كثرة المواقف التي ذكروهـا، وكل واحد يحكي أن أخـاه فعل لها، وعمل لها، وهو لم يفعل، ولم يعمل.

وقـد قـال الصغـير: حرمتنـي مـن حملهـا في الحـج، واستأثرت بهـذا لنفسك، وحكى الكبير، وهو يعاني، كيف أن ظـروف العمل تجبره علـى التقصير في خدمـة والدته، وأنه أولى بمثل هـذه الأمور، خاصة خارج المنزل؛ ليعوض ما فاته من خدمة والدته.

أخـيرًا، عرفنا أن هنـاك اتفاقًـا مسبقًا بينهمـا، وأنهما يقومـان على خدمـة والدتهما يومًـا ويومًـا، أي إن كلًّا منهما يأخذ يومه في خدمة والدته، والاختلاف يكون دائمًا حين يكون هناك خروج لها من المنزل، إما للمستشفى أو للعمرة أو للتنزه.

حِرْنـا معهما، ونحن واقفان لم نجد من أحدهما تنازلًا، حتى كدت أحمل أمهما أنا، وأوصلها إلى الشقة؛ كي نريحهما، ونستريح.

قاطعنـا إمام المسجد، وقد وصل إلينـا، وألقى السلام، وقال مخاطبًـا الأخ الأصغر: أليس بينكـم اتفاق، وأنا شاهد

عليه؟ فعرفنا أن إمام المسجد قد اطلع على حالهما، وعرفت أخـيرًا أنه وجدهما، وهو خارج مـن بيته لصلاة الفجر على هذه الحالة، وحكم بينهما.

وفي نهايـة المطـاف توصلنا معهما إلى هـذا الحل الذي رأيتـه، وهو أن يحملاها معًا، حين تخـرج من المنزل أو تعود إليه!

الحكمة: ما أجمل الصراع من أجل بر الأم!

obeikandl.com